

التفسير المختصر - سورة الأنبياء (٢١) - الدرس (٨-٥) : تفسير الآيات ٩٠ - ٩٢ يسارعون في الخيرات ويدعونا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاسعين .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٥-٠٥-١٩٩٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا من يسْتَمِعُونَ القول فَبَيْتَهُونَ أَحْسَنَهُ وَأَدْخِلَنَا بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ.

أيها الأخوة الكرام، لازلنا في سورة الأنبياء، وقد ورد ذكر الأنبياء أغلبهم في هذه السورة ولكن الذي يهمنا في نهاية المطاف هذا التعقيب الذي شمل جميع الأنبياء، قال تعالى:

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَا رَغَبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خَاسِعِينَ﴾ (٩٠)

[سورة الأنبياء]

أيها الأخوة الكرام، أنت موجود في الدنيا من أجل أن تعمل الخير فقط وإذا أردت الدليل، فهاكه: الإنسان حينما يأتيه ملك الموت يندم على ماذا؟ يندم على العمل الصالح، قال تعالى:

﴿هَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدُهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِي﴾ (٩٩)
﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كُلًا إِنَّهَا كَلْمَةٌ هُوَ قَاتِلُهَا وَمَنْ وَرَاهُمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمٍ يُبَعَّثُونَ﴾ (١٠٠)

[سورة المؤمنون]

فكل إنسان غفل عن المهمة الأولى التي جاء من أجلها فهو غافل وضال، فأنت لم تأتِ إلى الدنيا من أجل أن تجمع الدرهم والدينار ولم تأت إلى الدنيا من أجل أن تتغمس في الملاذات، إنك أتيت إلى الدنيا من أجل أن تعبد الله، وعبادة الله هي تطبيق منهجه، والتقرب إليه وهذا لن يكون إلا بمعرفة الله تعالى، فإذا عرفته عبنته، وإذا عبنته سعدت بقربه، وهذا هو الهدف، قال تعالى:

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَرَوُنَّ وَمُخْتَلِفِينَ﴾ (١١٨)
﴿إِنَّمَا مِنْ رَحْمَةِ رَبِّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقْتَهُمْ﴾

[سورة هود]

إذاً كما قال تعالى:

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَا رَغَبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خَاسِعِينَ﴾ (٩٠)

[سورة الأنبياء]

الله عز وجل قال: سارعوا وقال: ساقوا، وهاتان الكلمتان تشيران إلى مضي الزمان، والزمان محدود والإنسان بضعة أيام، كلما انقضى يوم انقضى بضع منه، وما مضى فات والمولى غيب ول yok الساعة التي أنت فيها.

أيتها الأخوة، نحن جمِيعاً لا نملكُ إلا هذه الساعة، لأنَّ الذي مضى لن يعود، والمستقبل لا نعرف إن كنَّا من الذين يبلغونه أم لا ! ومن عَدَّا من أجياله فقد أساء صحبة الموت، وهلَّك المُسْوِفُون، وسوف من جنود إبليس، لذلك أخطر مرضيْن يصابُ بهما الإنسان مرض الغفلة ومرض التسويف.

قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِمُ أَمْوَالَكُمْ وَلَا أَوْلَادَكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعُلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (٩)

[سورة المنافقون]

وقال تعالى:

﴿وَأَنْفَقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخْرَتْنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١٠)

[سورة المنافقون]

قال تعالى:

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَا رَغْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خَائِسِينَ﴾ (٩٠)

[سورة الأنبياء]

فالياسُ مرض، والانبساط الشديد مع الله تعالى مرض، فالانبساط الشديد عقابُ الحِجاب، والياس دليل الجهل بالله عز وجل، ولكنَّ المؤمن يدعو ربَّه راجِيَاً وخائفاً وسهلاً على الإنسان أن يتطرف، ولكنَّ البطولة أن تجمَع بين الخوف والرجاء، وبين الرَّهبة والرغبة، لذلك قال: يا رب، أيُّ العباد أحبُّ إليك حتى أحبَّ بِحُبِّك ؟ قال: أحبُّ العباد إلى تقىُّ القلب، تقىُّ اليدين لا يمشي إلى أحدٍ بسوء، أحبَّني وأحبَّ من أحبَّني وحبَّبني إلى خلقي قال: يا رب، إنك تعلم أنِّي أحبُّك وأحبُّ من يُحِبُّك، فكيف أُحِبُّك إلى خلقك ؟! قال: ذكرُهم بالآثي ونعمائي وبلاطي، قال شرُاح الحديث: الآلاء من أجل أن تُعظِّمه، والنعماة من أجل أن تُحبِّه، والبلاء من أجل أن تخافه، ولا بدَّ من أن يجتمع في قلب المؤمن تعظيم الله، وخوف منه، ومحبة إليه، فالنِّعَم سبب المحبة، أحبُّوا الله لما يغدوكم به من نعمه، والبلاء سبب الخوف، والآلاء سبب التعظيم، فأنت بالأيات الكوئية تعظِّمه، وبالنِّعَم السابعة الظاهرة والباطنة تُحبِّه، وبالمسائب والابتلاءات تخافه فالوضع الصحي أن يكون في قلبك تعظيم وحبٌّ وخوف، فالحُبُّ من دون خوف انبساط وتمادي وتساهل وخوف من دون رجاء يأسٌ وقنوط وخوف وراء من دون تعظيم يضعف الخشية، قال تعالى:

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَا رَغْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خَائِسِينَ﴾ (٩٠)

[سورة الأنبياء]

وقال تعالى:

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَائِسُونَ (٢)﴾

[سورة المؤمنون]

قال العلماء: الخشوع في الصلاة ليس من فضائلها، ولكن من فرائضها ! فهم ما أفلحوا لأنهم يصلون، ولكنهم في صلاتهم خاشعون، وفي آيات أخرى قال تعالى:

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاوِعُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَيْلًا﴾ (١٤٢)

[سورة النساء]

وقال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ (٤١)

[سورة الأحزاب]

فالأمر ليس على الذكر، ولكن على الذكر الكثير ! لأن المنافقون يذكرون الله تعالى، قال تعالى: ولا يذكرون الله إلا قليلا..” معنى الأمر على الكثير.

قال تعالى:

﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٩١)

[سورة الأنبياء]

قد لا يفهم بعض الناس حكمة امرأة فرعون على أنها صديقة ! فرعون الذي قال كما قص الله تعالى::

﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ (٢٤)

[سورة النازعات]

أنا ربكم الأعلى، وقال تعالى:

﴿وَقَالَ فَرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَائِكَةُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾

[سورة القصص]

لحكمة بلغة بلغة أراد الله أن تكون زوجته صديقة لتكون هذه المرأة الصديقة آية لكل نساء العالمين، بمعنى أن المرأة مُستقلة في عقيدتها، وفي طاعتتها لربها عن زوجها، معظم النساء يقلن الآن: هكذا يريد زوجي ! إن شاء الله في صحته !! لا، بل في صحتك أنت !! لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، فامرأة فرعون جابت من؟ جابت من يدعى الألوهية، والذي قتلبني إسرائيل واستحيى نساءهم، وبقيت مطيبة الله عز وجل، وصديقة، فأية امرأة يجرها زوجها على الاختلاط، أو على أن تكشف أمام أصدقائه، أو على أن تسايره في معصية، وتقول: ماذا أفعل هذا زوجي، وإذا لم أفعل يطلقني !! نقول لها اسمعي ماذا قال تعالى عن امرأة فرعون:

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا إِمْرَأَةً فَرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّي أَبْنَ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَتَجْنِي مِنْ فَرْعَوْنَ وَعَمِّلْهُ وَتَجْنِي مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (١١)

[سورة التحريم]

وقال تعالى:

﴿وَلَا تَرِرُ وَازِرَةً وَزِرَّ أَخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (١٥)

[سورة الإسراء]

ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وقال تعالى:

﴿وَإِنْ جَاهَكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَنَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾

[سورة لقمان]

وقال تعالى:

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ (٢٨)

[سورة الكهف]

ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطًا
بِمُحَمَّدٍ وإنما أن أدع الطعام حتى الموت ! فقال: يا أمي لو أن لك مائة نفس فخرجت واحدة واحدة
ما كفرت بمُحَمَّدٍ، فكلي أو لا تأكلني !! فالآم ألم ولكن لا تطاع في المعصية، والأب أب ولكن لا
يطاع في معصية، قال تعالى:

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾

[سورة الإسراء]

العبادة لله تعالى، والإحسان للوالدين، أما أن تعبد الوالدين من دون الله، فترتكب الكبائر إرضاء
لهم فلا ثم لا.

عندنا باللغة العربية، وفي البلاغة أسلوبًا يسمى الاستخدام والاستخدام أن تذكر كلمة وأن تعيد
عليها الضمائر لمعانٍ أخرى من معانيها ويأتون على ذلك بشاهدٍ واضحٍ، وهو قوله: أقرَ الله عينَ
الأمير وأجرى له ماءها، وكفاه الله شرها، فقوله: أقرَ الله عينَ الأمير أي عينه، وأجرى له ماءها
أي ماء البستان، وكفاه الله شرها أي عين الحسود، فنحن أتينا بكلمة عين وأعدنا عليها الضمائر
لمعانٍ أخرى فالله تعالى أيضًا قال:

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةً فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لَيْ عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَتَجْنِي
مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلَهُ وَتَجْنِي مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (١١) (ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها
فنهخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين) (١)

[سورة التريم]

الفرج معروف فنهخنا فيه، أي في فتحة التوب، فمن معاني الفرج فتحة التوب العليا، ثم قال
 تعالى:

﴿وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكَتْبِهِ وَكَانَتْ مِنْ الْقَانِتِينَ﴾ (١٢)

[سورة التريم]

ويأتون بشاهد آخر وهو قوله تعالى:

﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلِيَصُمِّمْهُ﴾

[سورة البقرة]

فالقمر لا يصوم بل يصوم معنى آخر من معاني الشهر وهو الثلاثون يوماً؛ فهذا أسلوب
الاستخدام، فلكي لا يتوجهوا الواحد أن النفح كان في فرجها المعروف !

المُلْخَصُ ؛ أَنْتُمْ يَا بَنِي الْبَشَرِ عَلَيْكُمْ أَنْ تَقْعِلُوا مَا فَعَلَ الْأَنْبِيَاءُ، عَنْ أَيِّهِ هُرِيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((أَيَّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَّا يَقْبِلُ إِلَّا طَيِّبًا وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ يَا أَيَّهَا الرَّسُولُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلَيْمٌ)) وَقَالَ يَا أَيَّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ) ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطْبِلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمْدُدُ يَدِيهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ وَمَطْعُمَةُ حَرَامٍ وَمَشْرُبَهُ حَرَامٍ وَغُذِيَّ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ))

[رواہ مسلم]

لِقَوْلِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ :

((إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُسْلِمِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ))

وَقَالَ تَعَالَى :

((فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغُو إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)) (١١٢)

[سوہہ وہد]

فَجِنْسُ الْبَشَرِ وَاحِدٌ، وَالْجِلَّةُ وَاحِدَةٌ، وَكُلُّ الْخَصَائِصُ، وَالْقَوْانِينُ وَاحِدَةٌ، وَكُلُّ الْحَرْكَاتُ وَالنُّفُوسُ مَجْبُولَةٌ عَلَى حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا وَبُغْضُ مَنْ أَسَاءَ إِلَيْهَا، وَبِالْمَنَاسِبَةِ لَوْلَا أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْ بَنِي الْبَشَرِ، وَلَوْلَا أَنَّهُ تَجْرِي عَلَيْهِ كُلُّ خَصَائِصِ الْبَشَرِ، لَمَّا كَانَ سَيِّدُ الْبَشَرِ، فَلَأَنَّهُ تَجْرِي عَلَيْهِ خَصَائِصُ الْبَشَرِ أَصْبَحَ سَيِّدُ الْبَشَرِ وَلَا يَنْتَصِرُ عَلَى نَفْسِهِ عَنْ أَنْسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((لَقَدْ أَخِفْتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُخَافُ أَحَدٌ وَلَقَدْ أُوذِيتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُؤْذَى أَحَدٌ وَلَقَدْ أَتَتْ عَلَيَّ ثَلَاثُونَ مِنْ بَيْنِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَمَا لِي وَلِلْبَلَالِ طَعَامٌ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ إِلَّا شَيْءٌ يُوَارِيهِ إِبْطُ بَلَالٍ))

[رواہ الترمذی]

فَهُوَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ جَاءَ كَمَا يَجُوعُ الْبَشَرَ، وَأُوذِيَ كَمَا يُؤْذِي الْبَشَرَ، وَفِي الطَّائفِ سَخَرُوا مِنْهُ، وَاسْتَهْزَءُوا بِهِ وَهُوَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ، لَعَلَّ اللَّهُ يَخْرُجُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مِنْ يُوحَّدُهُ !

أَيُّهَا الْأَخْوَةُ الْكَرَامُ، الْمُلْخَصُ قَوْلُهُ تَعَالَى :

((إِنَّهُذِهِ أَمْتَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ)) (٩٢)

[سوہہ الأنبياء]

وَهُنَاكَ آيَةٌ تَنْظِيمَانِ الْعَالَةَ بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ، قَوْلُهُ تَعَالَى :

((وَتَمَتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدِّقًا وَعَدْنَا لَنَا مُبَدِّلًا لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)) (١١٥)

[سوہہ الأنعام]

أي يا عبادي منكم الصِّدْق وَمِنِي العَدْل، وَتَقَاوَنُونَ عَنِي بِمِقْدَارِ صِدْقِكُمْ، وَمِنِي العَدْل.
بهذا تنتهي سورة الأنبياء ؟، وأنتم كما تعلمون نأخذ مقاطع منها وننقل في درس قادم إلى
موضوع له علاقة بهذه السورة نرجئه.

والحمد لله رب العالمين